شعر

موتُ العَسَل

أحمد دحبور

عشبٌ أحمر

لثلاثة آباء، وَلَدَتْهُ ثلاثُ نساءْ
ودَعتْهُ الريِّح فجاءْ
قالوا: هل تذكر يومَ الحرْبْ؟
فأجابوا: أذكر أني لا أنساها
وأضافوا: كنتُ أرى أرضاً تُحصي قتلاها
فيغيمُ النبعُ، ويطلعُ، أحمرَ، لونُ العشْبْ
ألهذا، كلَّ صباح، كلَّ مساءْ
تبكي أمٌّ ويهاجرُ أبْ؟
ألهذا، كل صباح، كلَّ مساءْ
تهتزُّ بنا المرآةْ فنَخرج منها؟

سقطَتْ من روحي لؤلؤةٌ، منذ الميلادِ،
وأسألُ عنها
فتراءت لي ورقاً وزجاجا
وحزنتُ لها،
وفرحتُ بها،
وهممتُ، فلم أر برهاناً يثنيني،
فانكسرتْ وتراءت، في المرآة، مزاجا
هل سرتُ وأغراني سَيْري؟
أم أنّ المرأةَ هامت فيَّ،

وعُمْتُ فصارت بحراً أجدل غرَّته أمواجا؟
أم أني أطلبني في غيري؟
إن كان قصيراً فهو أنا
أو كان طويلاً فهو أنا
إن كان حزيناً فالعربات نزلن إلى وادٍ،
والوادي أرهقني صُعُدا
لم أرْجُ ملاذاً أو مددا
لكني حين وقعتُ،
رجعتُ إلى شجر أعلاه الحزنُ،
ولم أبصرْ أحدًا
هل كنتُ إذن أحدا؟
أم أني لؤلؤة فقدتْ من لا أحد،
لم يُسألْ عنها في الأحياء ولاً حتى الأمواتْ؟
ألهذا صرت حصاةً،
أم أني ضيَّعت حصاةْ؟
غَلْغلتُ شمالاً،
طفتُ جنوباً،
أسألُ، أفني،
أسألُ، أحيا عشقا
يممَّتُ جراحي صوبَ الغَرْبْ
رتَّبتُ الريحَ على ضربات القلبْ
فترحَّلَ شَرْقا
ووُلدتُ،
فزعتُ،
سألنا.. صرتُ ثلاثةَ أبناءٍ في مولودٍ واحدْ
يا للجاحدْ
بل أنت الواحد في حشد الأسماءْ
أغليتُ الصوتَ: الآن أتينا
ورأينا
كيف انفرطت حبات اللؤلؤ، وانفرطَ الأبناءْ

ألهذا، كلَّ صباح، كلَّ مساءْ
يتفقَّد واحدنا وجهاً أو كفّا؟
ألهذا ذاكرتي وطن وبلادي منفى؟
ألهذا يدخلني الوسواس فأخرج من درس الإنشاءْ:
هل هذا وادي الحرْبْ؟
أم نارٌ مطفأةٌ في كهف الحبْ؟
هل هذا ماءْ؟
أم عينٌ تعبرها الرؤيا وتغادرها الأضواءْ؟
والدمعة واحدةٌ،
لم أبك على من كنتُ،
ولم أَتجدَّدْ في الأسماءْ
لكنَّ حصاة ضاعت مني

وقعتْ، فهويتُ لأطلب لؤلؤةً،
قالوا: يتقوَّسُ تحت يد الخمسينَ،
وقلنَ، كأنَّ يديه رسائلُ،
صاح السائلُ: ماذا تطلبُ؟
كنتُ أجيب ولم يسمعني

ليست بحصاة،
ليست لؤلؤةً ما أطلبُ،
إني أبحث عني

الدمعة واحدة، فلماذا في ألفيْ جهةٍ منديلي؟
ـ هل تعرفه؟
إن كان طويلاً فهو أنا
أو كان قصيراً فهو أنا

لا أطلبُ لؤلؤة وحصاةً،

إني أطلبُ جيلي..

غزة ـ الإثنين ١٢/٥/١٩٩٧

قهوة بأجيال جديدة

بينما كانت الجدران تنقبض بحيادها المثلوم
والسماء محشورة بين سمت البحر وستار النافذة
كنت أراقب فنجان القهوة
وهو يتحلل من سخونته تدريجيا
حسناً، لا بد من قهوة جديدة
لكن ذلك لم يكن إلا تعلّة:
لا تزال الجدران واقفة على الحياد
والستارة لا تسفر عن مزيد من السماء
بغتة دخل طرفة بن العبد
بأعوامه الأربعة والعشرين ودمه الساخن
وضع رأسه على المكتب
كما يضع الجندي خوذته على طاولة السفرة
تأملتُ مجال العنق
ولم أجد أثراً لضربة السيف
فدخل رامبو ليضع ساقه المبتورة
قرب عامه السابع والثلاثين
هناك، على العتبة
وعلى الفور
كوّرتُ نصف قرن وعشر خيبات دورية
وسدَّدْتُ سؤالاً غير ضروريّ:
من أكبرنا سناً؟
قلتُ وأنا أعدّ القهوة الجديدة
فاعتمر ابن العبد رأسه
ليبلغني بعجزه عن استخراج شهادة ميلاد

أما رامبو، المتبرم
فأعاد الحياة إلى الحروف
ورمى بعامه السابع عشر أرضاً
ولم يلبث أن أحالني إلى قصيدته:
«الشعراء في سنّ السابعة»..
وأضاف: إنني ٣٧ أو ١٧ أو ٧
هذه كلّها سنواتي
فمن أي عمر تريد أن تمسك بي؟

الآن، وأنا أشرب القهوة وحدي
ـ باردة من جديد ـ
أرتب الكلام هنا فيقع من هناك
لستُ من جيل طرفة
فأنا أكبره بسبعة وعشرين عاماً
وهو يكبرني بست وأربعمئة وألف سنة
ولم أملك حيلة لأمسك رامبو من أحد أعماره

حين أزحتُ الستارة
لم تتسع السماء
ولم يكن البحر أكبر مني
فقد كان يولد لتوّه
من احتكاك سؤال بصخرة

وحيدٌ أنا ومفرد
لا كبعير طرفة المعبَّد
بل كإسفلت معبّد في صيف تونسي
وحيد ولا أصدقاء من جيليَ
فلا ألعاب لي
ولا قهوة ساخنة

هكذا أدخل الحمّام وأسدل الستارة
وما إن يتدفق الماء
ـ ليأخذ عني غبارَ التعب والحيرة ـ
حتى أمدّ لساني لطرفة ورامبو
ولشخص لم أتبين ملامحه
لكنه وُلد يوم ولدتُ
في شنغهاي أو هراري
من الأرجح أنني وُلدت وبيل كلينتون في عام واحد
فهل هو من جيلي؟
هل الجيل هو العمر
أم انبثاق الفرح والوجع من رتاج المكان وكرباج الأسئلة؟

أما الفضاء والأرض
فكانا يفعلانها علانية
والذي لم يكن ليولد منهما
هو أنا؟

أنا الذي لم يولد كما يريد،
أنا الممسوس بنسيان القهوة حتى تبرد
أنا الذي أحتفظ بحيلي في مرآتي
أعلن أني رأيت أبناء جيلي في الشارع
ولكن كيف لي أن أثبت هذه الواقعة؟

غزة ـ الجمعة ٢٠/٦/١٩٩٧

انقطاع الكهرباء

تذكرت من يبكي عليّ، فلم أجد،
سوى السيف والرمح الردينيّ باكيا
ملك بن الريب

أخافُ انقطاعَ الكهرباءِ،

وكلما
تذكّرتُ سطراً شارداً،
أو هنيهةً من الماء،
صادَتني المراكبُ في الظلامِ،
غابَ لساني في الكلامِ،
وهاجرَ الشهودُ،
فمن أحكي؟
أمامي أصابعي،
وخلفي انقطاعُ الكهرباء،
وساعتي تدورُ على أوقاتِ غيري،
كأنني تذكَّرْتُ من يبكي،
فأبكيتُ خيمةً تنزُّ عليَّ الماءَ في جمعةِ الشتاءِ،
درسٌ من الإنشاء ـ
والبرْدُ جمَّدَ الأصابعَ:
هل هذي أصابعُ؟
لم تكن لتعرفَ أن تلتمَّ أو تحضنَ القلَمْ
ولو عرَفتْ، فالليلُ حولي مسلَّحٌ،
بسيفِ انقطاعِ الكهرباءِ،
وفوقهُ
رياحٌ على سيل،
وسيلٌ على خيَمْ

أخافُ انقطاعَ الكهرباء،
ولم تكن لدينا خطوطُ الكهرباء،
فما الذي يخيف وهذا النورُ لم يُعْطَ لي؟
وهل كنتُ ـ إلا في الظلامِ ـ لأذكرَ الصِّحابَ؟
لعلي، في النهارِ، عرفتُهمَ،
فهل دخلوا ـ عهدَ الطفولةِ ـ منزلي؟
سألتُ غُرابي،
صاح بالغربةِ: اسألي

وكان جوابي، كالغراب،
جريدةً على البابِ ـ
في فجر الفنادقِ:
نصفُها حروبٌ وأزياءٌ،
وفيها رياضةٌ ومالٌ،
وفيها كلُّ ما ليس لي
كأني حلمتُ الآنَ، أو ربما غداً،
بأنْ كان لي يوماً صِحابٌ،
كأنما
غرقْنا معاً في النهرِ،
أو أنّ راعيا
أتانا فنَّجانا من الماءِ،
ربما
فقدْنا أخاً في الحربِ،
أو أنني الذي فُقدْتُ،
وأمي تسأل الشَمس والهواءَ،
عني: لماذا وَحْدَهُ ظلَّ نائيا؟

هدوءاً.. كأني أحلمُ الآنَ:
أنني أنادي صديقاً لا يَردُّ،
فهل هو انقطاعُ زمان؟
أم زمانٌ شروطُهُ علينًا انقطاعُ الكهرباء،
وخيمةٌ مرابطةٌ في القلب.. يحرسُها الغَرابُ؟
كنتُ المنادى، ربما، والمنادَيا
تذكرَّتُ من يبكي عليَّ فلم أجِد
سوايَ، على جيل الذبيحة، باكيا

أخافُ انقطاعَ الكهرباءِ،
وكلما
تمدَّدْتُ عدَّدْتُ الظلامَ،

وأيقظتْ أرانبُ روحي ذئبَها،
فتعدَّدَ الهروبُ،
وساواني انقطاعُ الكهرباء بقطعةٍ من الشعرِ ـ
في ليل الكَتابِ،
يحدُّني من الباب نورٌ لا يجيءُ،
ومن دمي كواكبُ لكنْ لا تضيء،
وكلما
سألتُ كتابي عن صِحابي،
أجابني غرابي:
تقدَّم.. إن جيلك يبتعدْ

تذكَّرْتُ من يبكي عليَّ فلم أَجِدْ

غزة ـ الجمعة ٢٩/٨/١٩٩٧

فواكه أو نحاس

ولكنا قطفنا وردتين،
خرجنا من أصابعنا، وسارت على أقدامنا جزرٌ، عصفْنا
بشاكلة الرياح، وطاردتْنا نساءٌ، واعترفنا كم وقفنا لتجمعنا
مصادفةٌ ـ
وطارت
حجارتنا فهشَّمت الكراسي
تحالفنا، وخفنا ـ كنت أسعى بألفِ يدٍ، وأستقوي بشكّي،
وكنت أرى النهار بألف عينٍ
قسوتُ على المراكب، واختلفَنا على البحر الذي هجرَ
المراسي
وإن طفْنا على تيه، فإنّا أخذنا فُرصةً أُخذتْ علينا، ونادينا
الزلازلَ واقترفْنا بلّاداً من فواكه أو نحاسِ
وعشنا مرة، أو مرتينِ

كما نهوى،

فكيف إذَنْ وُصِفْنا بأنّا جيلنا جيل المآسي؟

غزة ـ الثلاثاء ٣٠/٩/١٩٩٧

موريس قبق

١ ـ المعلم الأول

لكلٍّ معلّمهُ الأولُ
وأنتَ هُوَ
كذبتُ، كما الطفل: إني تتبعتُ عصفورة فتقَّصفَ سِلْك الهواءْ
وصدَّقتني
وأغريتُ عاصفة بغزال وسابقتُه، فسبقتُ
فباركتَ جمهرة النار فيَّ خطواتي
وأعلنتُ أني تلكأتُ عَن دعوة النهر فاختنق الماءُ بالسمكِ الخائب
فقوّستَ لي حاجبيكَ على محمل الجِدّ: هذا كثيرْ!!

تماديتُ في الزعم أني عصرتُ التراب فسلَّمني سرُّه للذهبْ
لهذا تساءلتَ إن كَان في بيتنا حجر الفلسفةْ

وحين دلفْنا إلى العرس فاجأتَ أهلَ العروسْ
بما كان مني ولي
رويتَ لهم ما رويتُ
وقلَّبْتُ عينيّ في اللمز ينبتُ من عوسج السخريةْ
ـ لماذا وشيتَ؟
سألتُكَ فاحترقَ الشجر الأخضرُ
ومن دَهَش ودخان أتى صوتك الأبويّ:
لماذا أشي بكَ؟ إني أصدِّق ما قلتَ، فليعلم الآخرونْ

ومن يومها قلتُ ما يعجب الناسَ،
واحتفظتْ بجنون العناصر نفسي

٢ ـ وردة الاختلاف

لماذا بلا صاحب أنتَ؟
ـ إني ضئيل الحواس، وممتلىء بالجهات،
ولدتُ بعينين لا أربع، وبكوْن يطوف بعينَيّ حتى رأيتُ
الزرافةَ والفهد، واستقبلتْني الزرازير في غفلةٍ عن عيونِ
الحضور وأسماعهم
ـ هل تحب المرايا؟
شريطة أن يتلألأ فيها الذي كنت أنشأتهُ من تهدُّج أغنية
وهبوط ملاك على السطح، لا صوت للآخرين، ولا ضوءَ،
لا وجهَ، وحدي سمعتُ، ووحدي أرى
ـ أين أوْصلتَ روحكَ؟
ـ إن الدروب تؤدي إليّ ولستُ دمشقَ وما أنا روما ولكنني
خائفٌ من ظلالي؟
ـ متى تبدأ الحربُ؟
ـ أولدُ فيها ولا علمَ بالحرب للمتكلمِ
ـ كم كسرةً في الرغيف؟
تشققت الأرضُ، رجلايَ ترتحلان إلى جهتين ووجهي يسير
أماماً، فمَن يتدبر خبزَ الخليقة؟
ـ كيف تحيلُ الكلام إلى لغة، كَيف تنشىء بين الضبابِ
وبين الجدار الحوارَ، وكيفَ بلا صاحب ينتهي الأمرُ؟
ـ أنتبه الآن أنك لم ترمني بحصاة النصيحة، أو تجمعِ
النورَ في صُرّة، أنتَ أخرجتني من مراياي فامتدَّت
الأرض حوليَ، أسئلةً تلو أسئلة، لا طمأنينةٌ بعد، لا
كسرةٌ من رغيف الحقيقةِ..
ـ ماذا أمامكَ؟
ـ إني أراكَ..
ـ أترضى بألا يكون الربيعُ امتدادَكَ..

ـ في الحقل شوكٌ وزهرٌ، وفي الكأس ماءٌ وما لا أرى،
أنتَ أدخلَتني في حقيقة ألا حقيقةَ غير الحقيقة، أنت لغمتَ
فمي بالسؤال، وحين اكتفيتُ استعرتَ من الخوَف لي عطشاً
لا يهادن، ملء يديّ الكلام وملء يديْ صاحبي صمتُهُ، كيف
وسَّعتَ أعيننا لنرانا ونقبل أنّا اختلفنا ونبقى صديقين؟
هل أدركُ الآن أنك أنشأتَ في دمنا وردة، روحها الاختلاَف؟

٣ ـ نملة القلب

نَهارَك، أم أنتَ لا تُمهلُ
نهارَكَ، والنهر مستعجلُ؟
وبكَّرتَ. بل أنتَ بكْر الغياب
فَهل قَدَرٌ أنك الأوَّلُ؟
كأنك مَنْ أنت، من جمرة
تولّدتً، فاضطرب المنقلُ

ـ تَأنيتُ، فاستعجلتْني الحياةُ
ولم يدعُني، من غدٍ، منزلُ
غدٌ لا يقرُّ على موضعٍ
كأنّ غداً عربٌ رُحَّلُ
مشيتُ على جثث في التراب
ٍويمشي عليّ الذي يُقبلُ
وما العمرُ؟ قفزة سنجابة
عن الغصَّن، والغصن لا يحملُ
فضائقة الأرض بابُ الخروج
ومتَّسعُ الكون لي مدخلُ
سكتُّ فكان سكوتي صدى
لمن لم يقولوا وإن جلجلوا
رميتُ لهم حُلماً وانكفأتُ
أأحلمه، وهو مستعمل؟
ولكنّ رفَّ اليمام انحنى

على كتفي، بالشجى يهدلُ
تواطأتُ والحزنَ ضد الكلام
وإن شابَني فرحٌ مهمَلُ
لعـلـي تعلمتُ مـن نملــــــــة
تغطي الشتاءً بما تأملُ
بنملة قلبي، أنا أستضيء
وما دمتُ أعطي فلا أسألُ

غزة ـ الثلاثاء ١٤/ ١٠/ ١٩٩٧

خيبة

هل أنت معي «هنا» أمامي؟
والليل نَهارُ فلفلٍ بالعسلِ؟
هل كُلُّك لِي؟
ـ وليس لي من أملِ ـ
أم نارُك، وحدها، غرامي؟
أصطكُّ عَليك،
أنهب الأرضَ بنهرٍ من لهبٍ،
وفي حريقي أجَليً
لا أملكُ نعمةَ السلامِ

في الجبِّ أنا.. حذار أن تنتشلي
والذئب يخبُّ في عظَامي

السوقُ إلى جوارنا،
فانتشري في الفاَحشِ من كلامها المبتذلِ
مُوتي، احتفلي..
تنمَّري، وامتثلي
فلينكسر الأمانُ،

ولينتشر الجنيُّ،
كأن لي قنبلةً في الثلجِ،
كأن ساحةً من قبل
إن شئت خذي، وإنَ.. فنامي
لكنك لا.َ فأين أنت؟
لم يأتَك، في الحريقَ، صوتي
أهتاج وَأنت في حرير الكسل
أرسلتُك، لم تَحاولي أن تصلَي
كيف العَطبُ ارتدى قوَامي؟
هذا جبروت مقلعٍ مشتَعلِ
أم قنبلة من الكلامً؟
هل أنت معي، هنا،َ أمامي؟
أم أنّ..َ

القاهرة ـ الأربعاء ٣/١٢/١٩٩٧

وجْد

قريبٌ من النخيلْ
بعيدٌ عن المحارْ
لماذا مشى الجدارْ
ولم ينته الرحيلْ؟

تلَّفتْ. مؤذن الفجر ألقى يدَ السكينةْ
على جبهة المدينةْ
ونادى: الصلاة خير من النوم، فالنهارْ
سيمضي ولا يلبيك حتى يرى الدليلْ
فهل جئتَ بالدليلْ
أم القلب في سفينةْ
ورجلاك في مهيلٍ من الرمل والغبارْ؟

ولو كان فيك نورْ
لقلتَ انهضي فسارتْ جبال إلى البحارْ
فهل تشعلُ البخورْ
على حيرة القتيل؟

قتيلٌ ولا ضغينهْ
وظمآنُ للينابيع في الدمعة الدفينهْ
معي دجلة ونيلْ
ولم يرتو الغليلْ
هي الأرض مستكينه
ولا موجَ، لا ضحى، لا مَراسٍ، ولا فَنارْ
بحارٌ، بها، أحارْ
وما كنت أستقيلْ

الرياض ـ الثلاثاء ٩/١٢/١٩٩٧

ولا القمر

ـ أعطني يديكَ وخذ صورتي من القمرِ

ـ هل رأيت كيف غدا تحت أرجل البشرِ؟
ـ وانتبهتُ: موعدُنا لم يكن هناكَ،
ولم ترضَ أن يكون هنا
ـ كلُّ ما أردتُ لنا
غرفتان من حجرِ
فاستقال مَن حُلمَي، فجأةً، لنا، قمرُ
ثم غاب في المطرِ

ـ إن يغبْ لنا قمرٌ، فلتجدْه في صُوَري

لم تجدْه في صُوَري
لا ولا أردتَ لنا
أن نذوب في زبدٍ عابرٍ،
بلا أمل،
لا مدىً، ولا سكنا
والغد الذي رسمتَ على البابِ،
لم يكن غَدَنا
نحن ضائعان معاً،
نحن جائعان معاً،
نحن ليس في يدنا أن نطير، بعدُ، معاً
ـ المسافة انحسرتْ والجناح ينكسرُ
تهزج الرياح فلا يستجيب طائرنا أو يصفّق الشجرُ
والطريق تنحدرُ
ـ فلنكن على سفرٍ، قد يحبنا السَّفَرُ
ـ لم يكن ليعرفنا ً
ـ ندَّعيه في حُلُم قادَ عُمْرَنا زمنا
أعطني يديكَ وخُذ صورتي..
ـ كفى شجنا

أمس بوغت القمر
لا نجوم تخدمه
لا غيوم تلزمه
بارد، يستقر عليه الظلام والحفر
فارغ هناك فلا هالة ولا صور
لن يكون منزلنا
ـ كيف؟ أنت قلتَ مشى فوق سطحه البشرُ
ـ الذين جُمجمةُ الأرض تحت مِبْرَدِهم،
والذين أقْربُنا رهْن أمر أبْعدهمَ،
والذين عَقْربُنا ساعةٌ على يدِهم،

وحدهم هم البشرُ
إنَّ ما يجوز لهم غير ما يحقُّ لنا
ثم حين تهزمنا الصاعقات والشررُ
والفصول إن شحذتْ نابها لتأكلنا
فاغسلي يديك من الماء،
ماؤنا عكرُ

واضحكي فليس لنا أرضنا ولا القمرُ..

رام الله ـ الجمعة ١٩٩٨/١/٣٠

النواسيّ

«أيا من كنتُ في البصرة أصفو لكم الودّا
شربنا ماء بغداد فأنساناكمو جدا»

«لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره»
أبو نواس

ماءُ بغداد إلى دمعتي،
ينتهي حتى يذوب المساءْ
ماء بغداد، ولم يُنسني بصرةَ الحزنِ،
له شجرٌ
عائم في الموج والخَيلاءْ
شجرٌ عَلْقَمَ روحي،
وما زلتُ عبداً للشجى والوفاءْ

إنه الموعد لا أيّ ماءْ
تارة أشربه صافيا
تارة أشرقُ في عكرِهْ

من رآني ضاحكاً راضيا
لم يصدّقْ غيمة صادقَتْني،
ولا صبري على هؤلاءْ
«النواسيّ»... أُنادي فلا قلبَ يهتزُّ،
فهل من أَحَبَّ توارى،
والذي بينهم، في ثيابي، محضُ شخصٍ كَرِهْ؟
«أنت منهم»..
هل سأنكر أنا سواءٌ في مرايا العبادِ؟
فحالي حالُ ضبعِ القرى،
وكَليمِ المال، والمتمَادي، والمنادي، والبطين الشَّرِهْ
وأرى وَالدتي في الإماءْ
وأرى خلف البريق الدماءْ
وأميرَ المؤمنينَ يرشُّ الدنانيرَ،
على رأس هذي،
ويعطي سيفَه رأسَ هذا،
لهذا أصطفي جبلاً مستحيلاً، مستقيلاً،
.. ولا يؤخذُ البنيانُ من حَجرِهْ
لم يُجبْني ماء بغدادَ،
ولم يُرو عشْباً ضَلَّ في حُلُمي،
وتشظَّتْ لغتي
فبكى مبتدا العمر على خَبرِهْ
ربما عدتُ إلى مأمنٍ لم أغادرْهُ،
وعاد الشتاءْ
والنواسيّ الذي بينهم،
غائب عنهم إلى حيث لا يعرف الندمانُ عن سفرِهْ

إنه الموعد، لا أي ماءْ
تارة أشربه صافياً
تارة أشرق في عَكرِهْ
من رآني كاتباً ماحياً

سيرى كم أنَّ لي قلماً لم يخامر غير حبري،
فما كل حبر في زماني سواءْ
قلماً من خشب حادَ عن طاعة الغابةِ،
فيما دمي
يحرسُ الشوكَ على شجرِهْ

أنا وحدي أفتدي شجراً
قد بلوتُ المُرَّ من ثمرِهْ

غزة ـ الثلاثاء ٢٤/٣/١٩٩٨